

العلاقة مع اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻘﻠﻢ ﺍﻻﺳﺘﺎﺫ ﻋﻤﺎﺩ ﺍﻟﻬﻼﻟﻲ

العلاقة مع اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻘﻠﻢ ﺍﻻﺳﺘﺎﺫ ﻋﻤﺎﺩ ﺍﻟﻬﻼﻟﻲ

ﻟﻌﻞ ﺍﮬﻢ ﻣﻴﺤﺚ ﻳﻨﺒﻐﻲ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺒﺤﺚ ﻓﻴﻪ ﮬﻮ ﻋﻼﻗﺔ ﺍﻻ ﺑﻪ ﻋﻼﻗﺘﻪ ﻣﻊ ﺍﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ، ﻭﻣﻦ ﺍﻟﻌﻼﻗﺘﻴﻦ ﺗُﺸﺘﻖ ﻭﺗُﻮﺳﺲ ﻛﻞ ﻣﻌﺮﻓﺔ ﺍﺧﺮﻯ، ﻳﻞ ﻣﻨﮭﻤﺎ ﻳُﻜﻮﻥ ﺍﻟﻌﻘﻞ ﻭﺍﻟﻤﻌﺮﻓﺔ ﻭﺍﻟﺤﻜﻤﺔ ﻭﻛﻞ ﺧﻴﺮ.

ﺃﻣﺎ ﻋﻼﻗﺔ ﺍﻻ ﺑﻨﺎ ﻓﮭﻮ ﺍﻟﺨﺎﻟﻘﻴﺔ، ﻭﺍﻟﺨﻠﻖ -ﻛﻤﺎ ﻗﻠﻨﺎ ﺳﺎﺑﻘﺎً - ﮬﻮ ﻋﻼﻗﺔ ﻣﺴﺘﻤﺮﺓ، ﻭﺍﻻﺳﺘﻤﺮﺍﺭ ﺗﻌﺒﻴﺮ ﻧﺴﺘﻌﻤﻠﻪ ﻟﻘﺴﻮﺭ ﺍﻟﺄﻟﻔﺎﻁ ﻋﻦ ﺍﻟﺒﺤﺚ ﻟﺘﻠﻚ ﺍﻟﻌﻼﻗﺔ ﺍﻟﺘﻲ ﮬﻲ ﻓﻮﻕ ﺍﻟﺰﻣﺎﻥ، ﻓﺮﻏﻢ ﺃﻥ ﻭﻋﻴﻨﺎ ﻓﻲ ﮬﺬﻩ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻣﺘﻘﻄﻊ ﺑﺎﻟﺰﻣﺎﻥ ﻓﻨﻌﻲ ﺁﻧﺎً ﻭﺍﺣﺪاً ﻣﻦ ﺍﻟﻜﻮﻥ ﺗﻢ ﻳﺘﺤﺮﻙ ﻭﻋﻴﻨﺎ ﻣﻊ ﺍﻟﻜﻮﻥ ﻭﻣﻊ ﺍﻟﺰﻣﺎﻥ ﻓﻨﺘﻘﻞ ﺇﻟﻰ ﻭﻋﻲ ﺁﻥ ﺍﺧﺮ، ﻭﮬﻜﺬﺍ.. ﻭﻟﻜﻦ ﮬﻨﺎﻙ ﻓﻲ ﺃﻋﻠﻰ ﻧﻔﻮﺳﻨﺎ ﺟﺰﺀ ﻓﻮﻕ ﮬﺬﺍ ﺍﻟﺘﻘﻄﻊ ﺍﻟﺰﻣﺎﻧﻲ ﻭﻟﻮﻻﮬ ﻟﻢ ﻧﺴﺘﻄﻊ ﺗﺬﻛﺮ ﺍﻻﻧﺎﺕ ﺍﻟﻤﺎﺿﻴﺔ، ﻭﺫﻟﻚ ﺍﻟﺠﺰﺀ ﺃﺯﻟﻲ ﻳﻤﺘﻞ ﺍﻟﻌﻼﻗﺔ ﻣﻊ ﺍﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻭﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺍﻟﻠﻤﺴﺔ ﺍﻟﺨﻠﻘﻴﺔ ﻭﺍﻟﺤﻘﻴﻘﺔ ﺍﻟﺒﺴﻴﻄﺔ ﺍﻻﻭﻟﻰ ﻭﺍﻻﺳﻢ ﺍﻟﻤﻜﻨﻮﻥ ﺍﻟﺬﻯ ﮬﻮ ﺳﺮ ﺣﻴﺎﺗﻨﺎ ﻭﻭﻋﻴﻨﺎ.

ﻭﺃﻣﺎ ﻋﻼﻗﺘﻨﺎ ﺑﺎﻻ، ﺃﻋﻨﻲ ﻣﺴﻴﺮﺗﻨﺎ ﻧﺤﻮﮬ ﻭﻛﻴﻒ ﻧﺴﻴﺮ ﺇﻟﻴﮭ ﻋﺰ ﻭﺟﻞ، ﻓﮭﻨﺎﻙ ﺗﺮﻳﻘﺎﻥ ﻟﺘﺼﻮﺭﮬﺎ:

ﺍﻻﻭﻟﻰ: ﺍﻟﺴﻴﺮ ﺑﺎﻟﻤﻌﺮﻓﺔ ﻭﺍﻟﻌﻘﻞ ﻭﺍﻻﺳﺘﻨﺘﺎﺝ، ﻭﮬﺬﻩ ﺍﻟﻄﺮﻳﻘﺔ ﻻ ﺗﻮﺻﻞ ﺇﻟﻰ ﺍﻻ ﻋﺰ ﻭﺟﻞ ﻭﻟﻜﻨﮭﺎ ﺗﻨﻔﻊ ﻓﻲ ﻧﻔﻲ ﺍﻻﻏﻴﺎﺭ، ﻻﻥ ﺍﻟﺘﺤﺮﻯ ﺍﻟﻤﻌﺮﻓﻲ ﻭﺍﻟﺒﺤﺚ ﺍﻟﻌﻘﻠﻲ ﻳﻨﻔﻊ ﻓﻲ ﺍﻟﻘﻀﺎﻳﺎ ﻻ ﻓﻲ ﻭﺟﺪﺍﻥ ﺍﻟﺠﺰﺋﻴﺎﺕ، ﻭﻗﺪ ﻳﺰﻳﺪ ﺍﻻﻳﻘﻴﻦ ﺑﻮﺟﻮﺩ ﺍﻟﺸﻴﺀ ﻭﻟﻜﻦ ﻻ ﻳﻮﺻﻠﻨﺎ ﺇﻟﻰ ﻣﺸﺎﮬﺪﺗﮭ، ﻓﻤﺘﻼً ﻟﻮ ﺍﺧﺘﻠﻔﻨﺎ ﻓﻲ ﻭﺟﻮﺩ ﺍﻻﻧﺴﺎﻥ ﻓﻴﺎﻥ ﺍﺳﺘﻨﺘﺎﺝ ﻭﺟﻮﺩﮬ ﻣﻦ

الإمكان أو الوجوب ليس مثل مشاهدته بنفسه. ولكن السير العقل يفتح باب اليقين بإِ تعالي بدلالة عرضية أو لنقل من استشفاف خلفي، كمن يسير في طريق والشمس من خلفه سيرى ظله أمامه فيعرف نفسه ويعرف أنه لولا الشمس لما كان له ظل، ثم شيئاً فشيئاً يصرف وعيه عن الظل ويلاحظ نفسه ثم ينتبه أنه لولا الشمس لما كان له وعي.

الثانية: التنازل عن الأناية بالتدرج، ولغرض تقريب التصور نشبهه بشخص وقع في البئر على وجهه، ثم ألقي إليه حبل ربطه في ظهره وسُحب إلى الأعلى ووجهه إلى الأسفل، وأثناء سحبه إلى الأعلى صار ينظر إلى جوانب البئر التي كان فيها والتي اجتازها أثناء السقوط السريع، فهو لم يكن ليصعد من تلقاء نفسه لولا الحبل، وما كان بإمكانه النظر إلى الأعلى لأنه ينظر إلى الأسفل. والإدراك في المرتبة السفلى لا يمكنه الإحاطة بما فوقها؛ لأنه يدرك السفلى بالعليا ولا يمكن إدراك العليا بالسفلى، إلا على نحو التشبيه.

فعملية الخلق هي تنزّل لنور اِ من مقام إلى مقام حتى خُلِق هذا الجسد، فكيف نرجع في طريق خطوات التنزل؟ يكون ذلك ليس بحركة الإنسان نفسه، بل بتنازله عن المراتب المتنزلة شيئاً فشيئاً، وكلما قشّر الإنسان شيئاً من أنانيته كلما برزّ النور الإلهي الذي هو في باطنه ثم يتسلسل حتى يرى لحظة ولادته وبروزه في عالم الإمكان، ثم تختفي مداركه الشخصية حتى يكون الوعي بنور اِ عز وجل.

والطريقان -بتدبير اِ تعالي ولطفه- طريق واحد، والخلق يتجه إلى يوم القيامة [كما بدأنا أول خلق نعيده) والأرض تنقص من أطرافها والظل يُقبض قبضاً يسيراً] وشمس الحقيقة تتحول من الشرق إلى المغرب، وما على الإنسان سوى أن يبلغ أقصى ما يمكنه عمله ويصعد إلى أعلى الطور ثم من هناك إذا شاء اِ أن ينزع عنه أنانيته ويقلبه لباطنه ناداه [فَلَمَّسَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَأْمُوسَىٰ إِذْ نَزَّىٰ أَرْجَا اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ] (القصص : 30) (راجع معالم هذا المستوى في كتاب عواطف الآملين في سورة القصص المباركة).